أمرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية

إعداد / محمد أمين أبوبكر
جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

من أكثر ما يهتز له العرب طرباً من قصائد شعرائهم قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل
كأني غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرات الحي نافق حنظل

فمن هو امرؤ القيس وأين ولد ومتى ولد وأين عاش؟

انه أمرؤ القيس بن حجر الكندي اسمه خندج بن ججر الكندي ولد على الأرجح عام ٥٢٠ ميلادي وتوفي عام ٥٦٥ ميلادي بعد خمسة وأربعين عاماً قضاها شاعراً وفارساً وعاشقاً ومغامراً في ربوع بلاد العرب وما جاورها. يقول فيه رسول الله ﷺ «أمرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار» وتذكر كتب الأدب والنقد أن اشعر العرب: أمرؤ القيس إذا ركب والأعشى إذا طرب وزهير إذا رغب والنابغة الذبياني إذا رهب ويكاد يجمع النقاد على أن أمرأ القيس أمير شعراء العصر الجاهلي وهو أحد شعراء المعلقات السبع المشهورة وفي طليعة شعراء الطبقة الأولى في العصر الجاهلي التي تشمل إلى جانبه زهيراً ابن أبي سلمى والنابغة الذبياني والأعشى.

ولادته ونشأته:

ولد أمرؤ القيس في نجد في اليمامة عند أخواله من بني تغلب إذ إن أمنه كانت أخت المهلهل بن ربيعة وهي فاطمة بنت ربيعة وقد نشأ في كنف أخواله ميالاً إلى اللهو والترف والمجون حتى قيل إنه أول من أدخل الشعر إلى مخادع النساء مخالفاً في ذلك تقاليد البيئة العربية. إلا أن مسلكه ذاك وكثرة مجونه وفحش شعره لم يرق لوالده فطرده وتخلى عنه وأعاده إلى حضرموت موطن أعمامه وأبناء قومه أملاً في صلاح حاله لكن شاعرنا استمر في سيرة اللهو والمجون والترف والسطو والسبيء وملازمة صعاليك العرب ومصاحبتهم ومن الجدير بالذكر أن نشأته في نجد وترعرعه في بني أسد جعله يواكب الشعر العربي في أهم مواطنه ما جعله يطمح إلى خوض غمار الشعر فقاله في حداثة سنه وكان شعره جزل الألفاظ رائع السبك خصب الخيال غنياً بالصور الجميلة المؤثرة ويقال إنه أول من وقف على الأطلال وبكى الديار وشبب بالنساء ولذلك فإننا نجد في شعره عزة الملوك وعربدة الماجنين وسيرة الصعاليك واستمر في لهوه وسيرته الماجنة وتجواله في بوادي العرب إلى أن جاءه نبأ مصرع أبيه ذات يوم حيث قتله بنو أسد لاستبداده بهم وتجبره بينهم فقال أمرؤ القيس: «ضيعني أبي صغيراً وحملني دمه كبيراً لا صحو اليوم ولا سكر غداً اليوم خمر وغداً أمر» ثم عقد العزم على أن لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً ولا يدهن بعود حتى يقتل من بني أسد مئة ويجز نواصي مئه ومن أجل ذلك استنجد بأخواله بكر وتغلب وسار إلى بني أسد فأوقع فيهم فطلبوا منه أن يفدوه بمئة من أعيانهم إلا أنه رفض فتركه أخواله وشأنه وعند ذلك طلبه المنذر بن ماء السماء لشيئ كان في نفسه على قوم امرئ القيس فتفرق من كان معه خوفاً من المنذر وأخذ يطلب المعونة من القبائل فأقفلت أبوابها في وجهه فقرر اللجوء إلى قيصر الروم جستنيان طالباً منه

العون والمساعدة وقطع دون ذلك بلاداً شاسعة وأراضي واسعة وقد اصطحب في رحلته تلك عمرو بن قميئة ومما قاله في تلك الرحلة:

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته
وقرت به العينان بدلت آخرا
كذلك جدي لا أصاحب واحداً
من الناس إلا خانني وتغيرا
ولما بدت حوران والآل دونها
نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا
تقطع أسباب اللبانات والهوى
عشية غادرنا حماة وشيزرا
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما
نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

وأخيراً وصل قيصر وأكرم وفادته وأحسن استقباله وفكر في أن يمده بجيش ضخم ويجعله حليفاً له في بلاد العرب إلا أن الطماح الأسدي دخل على قيصر فوشى به عند قيصر لأن أمرئ القيس قتل والد الطماح فبعث قيصر إلى أمرئ القيس بحلة مسمومة ولما بلغ انقرة في بلاد الروم وهي عاصمة تركيا في أيامنا تقرح جسده وأصابه الجدري ويستشهد على صحة ذلك بقوله:

لقد طمح الطماح من نحو أرضه
ليلبسني من دائه ما تلبسا
وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة
فيا لك نعمى قد تحولت أبؤسا
فلو أنها نفس تموت سرية
ولكنها نفس تساقط أنفسا

وتذكر الروايات أنه استمر في مرضه ذاك حتى مات ودفت في تلك البلاد عام ٥٦٥ ..

من ابيات المعلقة

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ

بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

* * *

أفاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ

وإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي

وأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ

وإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ

فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاَّ لِتَضْرِبِي

بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

* * *

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً إِلَيْهَا وَمَعْشَراً

عَلَيَّ حِرَاصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ

تَعَرُّضَ أَثْنَاءَ الوِشَاحِ المُفَصَّلِ

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا

لَدَى السِّتْرِ إلاَّ لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ

فَقَالَتْ : يَمِيْنَ اللهِ مَا لَكَ حِيْلَةٌ

وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الغَوَايَةَ تَنْجَلِي

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُوْلَهُ

عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُوْمِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ

وأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

ألاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ ألاَ انْجَلِي

بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنكَ بِأَمْثَلِ

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ

بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ

* * *

وَقَدْ أَغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً

كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ